دَبَّ جمرُ الصباحِ في فحمةِ الليـ ـلِ وطَارتْ نُجومُه كالشَّرارِ[١]

وهي قصيدة طنانة روضية. وقد ترجم له صاحب (نسمة السحر)، وهو أخوه ترجمةً فائقةً طويلةً، وذكر من شعره ما يدلُّ على أنه في أعلى رتبِ البلاغة. وأرّخ موته يوم عيد النحر سنة ١١٠٤ أربعٍ ومائة وألف.

(١٧٩)

(الشريفة زَيْنَبُ بنت مُحمَّد ابن أحمد ابن الإمام الحَسَن بن عليّ بن دَاود المُؤيِّدي)[٢]

الأَديبة الشاعرة المجيدة، من شعرها القصيدة التي كتبتها إلى زوجها السيد عليّ ابن الإمام المتوكل على اللَّه إسماعيل ومطلعها: [من الوافر]

أصخْ لي أيّها الملكُ الهُمامُ عَليْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ والسَّلامُ[٣]

ومن شعرها المقطوع الذي فضلت فيه «شهارة» على «صنعاء» وهو: [من البسيط]

وَقائلٍ لي (أزال) ليس تُشْبِهُها (شَهارة) قُلتُ قِفْ لي واسْتَمِعْ مَثَلي[٤]

أليسَ صَنعاءُ تحتَ الظهرِ مع ضلعٍ أما شَهارةُ فَوْقَ النَّحرِ والمُقلِ

والنحر والمقل موضعان بشهارة، كما أنَّ وادي ظهر وضلع موضعان قريب صنعاء. ولها أشعار كثيرة. وقد فارقها عليّ بن المُتوكِّل، ثم تزوَّجها غيره. وكانت تعرف النحو والأصول والمنطق والنجوم والرمل والسيمياء. و(ماتت) في شهر محرم سنة ١١١٤ أربع عشرة ومائة وألف بشهارة.

(١٨٠)

(زَيْنُ العابدين بن حُسَيْن الحكمي أحد العلماء المشهورين)

المعاصرين من أهل القطر التهامي، كثيراً ما يكتب إليّ من هنالك بمذاكرات.

---

(١) دَبَّ: مشى رويداً.

(٢) ترجمتها في: الأعلام: ٣/ ٦٧؛ نبلاء اليمن: ١/ ٧٠٩.

(٣) أَصِخْ: اسْتَمِعْ. الهُمامُ: السيد الشجاع السخيّ من الرجال.

(٤) أزالُ: اسم مدينة صنعاء؛ وأزال: هو والد صنعاء بن أزال بن يقطن بن عامر بن شالخ بن أرفخشد، وكان أول من بناها؛ ثم سُمِّيت باسم ابنه لأنه ملكها بعده، فغلب اسمه عليها؛ واللَّه أعلم. (معجم البلدان: ١/ ١٦٧). شهارة: من حصون صنعاء باليمن. (معجم البلدان: ٣/ ٣٧٤).

وله نثر مُتوسّط، فمنه ما كتبه إليّ عند أن وليت القضاء ولفظه: الحمد للّه الذي ألهم مولانا الإمام الأعظم، والطود الباذخ الأشم[١]، أمير المؤمنين وسيد المسلمين، المؤيّد بالنصر والتمكين، والظفر والفتح المبين، المنصور باللّه ربّ العالمين، بإقامة من انتعشت به الشريعة المحمدية من مرضها، وقامت به قناتها مفصحة عن مُرادها، خالصة من مضَضِها. واختصاصه من بين الأنجم الزاهرة من علماء العِتْرَة[٢] الأعلام بالفضل بين الأنام، والتصدر للإصدار والإيراد عن الخاص والعام. وإعطاء القوس باريه، وتقليد هذا الأمر خِرِّيته[٣] الماهر بفجاجه ومراميه. عين أعيان سكان صنعاء، ومن حسنت به الأيام جمعاء، القاضي الثبت العلَّامة، الحُلاحل العُمدة النِّحرير[٤] الفهّامة الغيث المدرار، المقتطف من بستان عَوارفِه نوافح الأزهار ويانع الأثمار، المقتبس من ثاقب فهومه أنوار الشموس والأقمار، الكافل بغاية السؤل والتحقيق، ومن هو بكل ثناءٍ خليق[٥]. الذي إذا اجتمعت الفضائل فهو منتهى الجموع، وبغية المستفيد بالعلم النافع الذي ليس بمقطوع ولا ممنوع. من ليس له في تحقيق العلوم ثانٍ (مُحمَّد بن عليّ بن مُحمَّد الشَّوْكاني) حفظه اللّه وأمدَّه بالتوفيق في جميع الأمور. وأصلح بتسديد آرائه الثاقبة ومقاصده الحسنة أحوال الجمهور. ولا زال مرفوع الجناب إلى الغاية. مَنْصُوبة رايات مَجْدِه بداية ونهاية. مسند إليه صحيح أحاديث كل فضيلة على الحقيقة لا المجاز. محكوم له بصدق المقدمتين بأنه كعبة أولي التحقيق التي ليس بينها وبين طالب الإفادة حجاز. فلو مثلت كتب النحاة بنعته لما جاز أن يجري على نعته النقص. واللّه المسؤول أن يعينه ويعافيه. وعليه من السلام ما يحفل به، ومن الإكرام ما يراوحه ويغاديه: [من الطويل]

تحيةَ صبٍّ ما الفراتُ وَماؤُه ... بأعذبَ مِنها وهو أزرقُ سَلْسَالُ[٦]
تخصّ خدينَ الفضلِ بدرَ أوانهِ ... سَليلَ عليٍّ مَنْ بهِ حَسُنَ الحالُ[٧]
أخَا العِلْم والتَّحقيقِ في كلّ مبحثٍ ... فما غَيْرُهُ يُرْجَى إذا عَنَّ إشْكَالُ

---

(١) الطَّوْدُ: الجبل العظيم الذاهب صُعُداً في الفضاء، ويُشبَّه به كلّ مرتفع أو عظيم أو راسخ؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿**فَانْفَلَقَ فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظيم**﴾ [الشعراء: ٦٣]. الباذخ، والأشمُّ: المرتفع.

(٢) العِتْرَةُ: نَسْلُ الرجل، ورهطه، وعشيرته.

(٣) الخرِّيت: الماهر، الحاذق، الخبير.

(٤) النِّحريرُ: العالم الخبير.

(٥) خليقٌ: جدير.

(٦) الصَّبُّ: العاشق الذي أضناه الشَّوْقُ والحُبُّ. السَّلْسَالُ: الماءُ العذبُ الصافي السَّلِسُ السَّهْلُ.

(٧) الخَدينُ: الصديق.

هُو الحاكمُ الفَيْصُول والعالم الذي ... له في عُلومِ الشَّرعِ وِرْدٌ ومِنْهَالُ[١]

ثم أطال النفس وختم النثر بقصيدة من شعره أولها: [من الكامل]

سِرْ يا بريدُ بها بغيرِ تَمنُّعِ ... وَارْوِ الحديثَ عن اللِّوَى والأجرعِ[٢]

واحْفَظْ حَديثَهم الصَّحيحَ ولا تزلْ ... تَرويه عَنْهُم عالياً في المجمعِ

فالعلمُ في علمِ الحديثِ وأهلهِ ... أتباعِ أشرفِ شَافعٍ ومُشفَّعِ

لا زالَ طائفةٌ هداةٌ مِنْهُم ... يَرْوُونه مِنْ أَرْوَعٍ عَنْ أرْوَعِ[٣]

لا سِيّما بَحْرُ العلومِ وَحايز المـ ... ـنطوقِ والمفهومِ شمسُ المَطلَعِ

حَاوي الأصول مع الفُروعِ وَناثرٌ ... أزهارها من بحرِ علمٍ أنفعِ

سَمعَ الحديثَ روايةً ودرايةً ... عَنْ كلِّ شَيْخٍ عَالمٍ مُتضلّعِ[٤]

أعني بهِ عزّ الأنامِ مُحمَّداً ... نَجْلَ الجمالِ الحاكمِ المُتورِّعِ

عَلم السرّاةِ الغرّ في علمٍ وفي ... كرمٍ وحُسنِ شمائلٍ لم تجمعِ[٥]

مَنْ خُصَّ مِنْ كَنْزِ الأَنامِ بِمَنْصبٍ ... بِشَريفِ تَرْجيحٍ منيفٍ أرجعِ[٦]

مُحيي عُلوم الطَّاهرين وسُنَّة ... المختارِ من فَضْلِ الحكيمِ المُبدعِ

وهي قصيدة طويلة، ولكنها من جنس شعر العلماء لا من شعر الأدباء. وهو الآن حي يفيد في وطنه، وأخباره تبلغنا جملةً لا تفصيلاً.

---

(١) الفَيْصُولُ: الفَيْصَلُ: الحاكم أو القاضي، أو الماضي الذي يفصل بين الحق والباطل. المنهال: الكثير الإنهال، من أنهل العطشان: سقاه حتى رَوِي، والمنهال أيضاً: الرجل يبلغ الغاية في السخاء.

(٢) اللِّوَى: منقطع الرمل، أو ما التوى منه. الأجرع: الأرض ذات الحزونة تُشاكل الرمل.

(٣) الأروع: الذكيُّ الفؤاد.

(٤) مُتضَلِّعٌ: مُشْبَعٌ بالعلوم والمعارف، من تَضلَّع الرجل: امتلأ شِبعاً وريّاً؛ ومنه: اضطلع للأمر، وعليه: قوي عليه، ونهض به.

(٥) السّراةُ الغرّ: الأشراف المشهورون.

(٦) المُنيف: العالي المُشرف على غيره.